مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية
Bani Waleed University Journal of Humanities and Applied Sciences
تصدر عن– جامعة بني وليد – ليبيا
Website:https://jhas-bwu.com/index.php/bwjhas/index
المجلد العاشر ـ العدد الثاني ـ 2025 ـ الصفحات (537-547)
ISSN3005-3900

التناص بين الشعر والنثر: دراسة في المصطلح والمفهوم

د.مصباح نصر مسعود انخيلة *
قسم اللغة العربية ، كلية التربية، جامعة بني وليد، بني وليد ، ليبيا.
mosbahenkhila@bwu.edu.ly

Intertextuality between Poetry and Prose: A Study of Terminology and Concept

Misbah Nasr Masoud Ankhila *
Department of Arabic Language, Faculty of Education, University of Bani Waleed, Bani Walid, Libya

تاريخ الاستلام: 04-04-2025 تاريخ القبول: 25-05-2025 تاريخ النشر: 02-06-2025

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة التناص، مصطلحًا ومفهومًا، في سياقاته النظرية والتطبيقية المختلفة، حيث يُعد من المفاهيم المحورية في النقد الأدبي الحديث ونظرية الثقافة، كما أنه يشير إلى العلاقات المتشابكة بين النصوص المختلفة ، وكيف يستحضر نص ما نصوصًا سابقة أو معاصرة له، سواء بشكل واعٍ أو غير واعٍ، صريح أو ضمني. يتناول البحث التطور التاريخي للمصطلح، بدءًا من جذوره اللغوية والفلسفية، مرورًا ببلورته في النقد البنيوي وما بعد البنيوي على يد منظّرين مثل جوليا كريستيفا ورولان بارت وميخائيل باختين، وصولًا إلى تجلياته في الدراسات الثقافية المعاصرة.

كما يستكشف البحث الأبعاد المختلفة للتناص، بما في ذلك التناص الواعي (مثل المحاكاة الساخرة، والمحاكاة الأدبية، والاقتباس) والتناص غير الواعي، وأنواعه كالتناص المفتوح والمغلق، ووظائفه المتعددة التي تتراوح بين إثراء المعنى، وتوسيع الدلالة، وإعادة إنتاج الأفكار، وصولًا إلى تقويض السائد أو الاحتفاء به. يُحلل البحث آليات عمل التناص في النصوص الأدبية والفنية والثقافية، وكيف يسهم في تشكيل المعنى وفهم النصوص في سياقاتها التفاعلية. في الختام، يبرز البحث أهمية التناص كأداة تحليلية قوية لفهم طبيعة إنتاج المعرفة وتداولها، ويسلط الضوء على دوره في الكشف عن شبكة العلاقات الخفية التي تربط بين النصوص والثقافات.

الكلمات الدالة: التناص ، الشعر ، النثر ، المصطلح ، المفهوم.

Abstract

This research aims to study intertextuality, both as a term and a concept, in its various theoretical and applied contexts. It is a pivotal concept in modern literary criticism and cultural theory. It also refers to the intertwined relationships between different texts and how a text evokes previous or contemporary texts, whether consciously or unconsciously, explicitly or implicitly. The research examines the historical development of the term, starting from its linguistic and philosophical roots, through its crystallization in structuralist and post-structuralist criticism by theorists such as Julia Kristeva, Roland Barthes, and Mikhail Bakhtin, and ending with its manifestations in contemporary cultural studies. The research also explores the various dimensions of intertextuality, including conscious intertextuality (such as parody, literary imitation, and quotation) and unconscious intertextuality, its types such as open and closed intertextuality, and its multiple functions, ranging from enriching meaning, expanding connotation, and reproducing ideas, to undermining or celebrating the prevailing. The research analyzes the mechanisms of

intertextuality in literary, artistic, and cultural texts, and how it contributes to shaping meaning and understanding texts within their interactive contexts. In conclusion, the research highlights the importance of intertextuality as a powerful analytical tool for understanding the nature of knowledge production and circulation, shedding light on its role in uncovering the hidden network of relationships that connect texts and cultures.
Keywords: Intertextuality, poetry, prose, term, concept.

المقدمة

تطور الشعر الحديث بألوان متعددة من التناص ، منها الاسطوري والتاريخي والديني ،الذي يعد من المفاهيم أو المصطلحات النقدية التي شغلت الشعرية الغربية لما له من أثر فاعل في تفكيك النص وتركيبه ، كما أن له تأثير في فهم النص ، باعتباره مجموعة من الأصوات والإحالات التي تتداخل وتنصهر وتذوب داخل النص الأدبي عن طريق الوعي أو اللاوعي بامتصاص نص سابق وانصهاره في نص لاحق .

وتأسيسا لما ذكر آنفا فإن هناك علاقة وثيقة بين التناص والشعرية ، لأن الأول يوظف النص الأدبي ليجعله محتضنا لنصوص أخرى ، والأخير نتاج إبداعي تتماحك من خلاله النصوص المتعددة في قالب واحد ؛ ومن هنا يبدأ الشاعر المبدع في مساراته عبر البحث في استبطان النصوص ليقوم بتوظيفها واستنطاقها داخل نصه فيستخرج مكامن علاقاتها وتقاطعها وبالتالي يرصد تلك العلاقات من ناحية جمالية يخلقها المبدع من جديد كما عبر جون كوهن عند تعريفه للشعر : هو خلق اللغة من جديد .

ضف إلى ذلك أن علائق الأدب مترابطة فيما بينها مكونة نسيجا متماسكا لتصل إلى القيم الجمالية والفنية ، ومن تم تظهر ملامح المبدع داخل نصه ، باعتبار ان تللك العلاقات حقيقية يكون مصدرها الموروث القديم والثقافة ، وتكون مهمة المبدع في هذه الحالة إعطاء تلك العلاقات دفقة شعورية ودعما فنيا من ذائقته الفنية وإبداعه الخاص ليضفي عليها نوعا من الحداثة ، كما أن مثل هذه الدفقات الشعورية تعطي النص تشكيلا جماليا برؤية معاصرة بمعنى آخر استحضار الماضي وقراءته في ضوء الحاضر مع الاحتفاظ بخصوصية الماضي ،بحيث يندمج النص الأصلي ويتناغم مع النص الجديد فيصبحا واحدا كما عبرت عنه كرستيفا بأن كل نص ما هو إلا امتصاص لنصوص أخرى ،بمعنى أنه تناص مع نصوص أخرى ، كما هو العلاقة بين النصوص وحقيقة التفاعل بينها ، وقد حدد النقاد انواعا للتناص منها الاستشهاد وقيل بأنه هو التناص الصريح او الشكل الصريح له ، والثاني السرقة والتي تعد أقل صراحة من سابقها ، والثالث ما يسمى بالنص الموازي ويقصد به علاقة النص بالعنوان والمقدمة والتمهيد ، اما الرابع فيسمى الوصف النصي وهو تلك العلاقة التي تربط بين النص والنص المراد التحدث عنه ، وهناك نوع آخر يعبر عنه النقاد بالنصية الواسعة وهي علاقة الاشتقاق بين النص الأصلي أو القديم والنص السابق عليه (الواسع الجديد) والنوع الأخير هوالنصية الجامعة ؛ وهي العلاقة البكماء وعلاقتها بالأجناس النصية التي يفصح عنها التنصيص الموازي ؛ وقد عبر الغدامي عن تلك العلاقة بأن النص بنية مفتوحة على غيره من نصوص سابقة على الشاعر أو المبدع.

نقف قليلا فنسأل سؤالا قد يدور في ذهن أي باحث عند دراسته لموضوع التناص ، هل استخدم الشعراء العرب قديما التناص في أشعارهم ، وللإجابة على هذا السؤال نقول :- إن الشعراء العرب وظفوا مفردات استخدمها قبلهم شعراء آخرون ، وقد قام النقاد قديما وحديثا بمعالجتها ودراستها فنجد مثلا أبا هلال العسكري في كتابه الصناعتين يقول :" إن المعاني المشتركة هي ملك لعامة الناس ، كما إنه يمن بتوارد الخواطر ويؤكد إن اللاحقين لاب وأن يستفيدوا من السابقين في معانيهم ، ولأن النص لا يمكن أن يعطي جمالا إلا إذا كان متداخلا ومترابطا بمعان مقتبسة وموظفة توظيفا جديدا داخل النص

والملاحظ أن لكل نص لاحق نص ساب أو ما هو إلا انبثاق لخلايا وانسجة ونصوص سابقة ،وهذا ما عبر عنه (رولان بارت) بقوله : أن كل نص يُعد تناصاً ، بحيث لا يمكن أن ينغلق نص على نصوص أخرى بل يجب عليه أن يحمل في طياته ثقافات ومعارف سابقة من خلال الاطلاع والقراءة والمعارف المكتنزة في ذهن أي مبدع ، شريطة أن لا يملأ نصه الحديث بحشو من النص القديم (الغائب)إن صحت العبارة ،ولا نستطيع غض الطرف عن قول الناقد الكبير(جيرارجينيت) عندما تحدث عن أنواع التناص : الاستشهاد هو الشكل الصريح للتناص ، كما ان النصية الواسعة هي اشتقاق بين نص قديم وآخر حديث وهذا ما أكده عبدالملك مرتاض العلاقة الايجابية والمتفاعلة بين نص سابق ونص حاضر ينتج عنهما نص زاخر بدلالات متعددة تزيد النص الحديث قوة وغنى وسمات جديدة وبالتالي يصبح نافذة منفتحة على نصوص أخرى مع نسيج الدلالة والسياق ، وتصبح وظيفة المتلقي الكشف عن تلك العلاقة بين النص القديم والحديث والحاضر والغائب لأن حقيقة التناص ماهي إلا تضمين نص لنص آخر أو تفاعل يوصف بأنه خلاق بين النص الغائب والنص الحاضر ، ومن هنا يتضح وجود علاقات جماعية بين الخطاب الحاضر والخطابات الغائبة على مستوى الأفراد وعلى مستوى التركيب والشكل والمضمون كما يعد التضمين مظهرا من مظاهر تفاعل النصوص وتداخلها ، والشاعر المعاصر عندما يستعمل ظاهرة التناص ليس عبثا بل بقصدية ولأهميتها داخل نصه ، ومن هنا وجب عليه توظيف نصوص تراثية لإغناء قصيدته ومنحها دلالات جديدة تواكب عصره مع عدم الاستقلالية المطلقة ، بل عليه أن يتكيء على نصوص أخرى بصلات مستدعاه من عوالم ثقافية متنوعة ، وبالتالي تبدأ عملية خلق النص وهي عملية معقدة تذوب من خلالها حقول متماحكة مع نص يتشكل بواسطة وعي الكاتب ، ومن تم تتعالق نصوص أخرى مع نص حدث بكيفيات مختلفة، ويمكن القول :بأنه استعادة نص قديم في شكل خفي أحيانا وفي شكل جلي في بض الأحيان ، وذا الوصف يوحي بتداخل الأفكار والمعارف والتجارب لتتفاعل معا ، وتندمج مع بعظها لتشكل نصا جديدا ورؤى جديدة ، من خلالها تتلاشى جميع الحدود التقليدية بين النصوص والأجناس الأدبية عموما ، فيصبح النص الواحد مستوعبا ومتعددا للمعاني والأصوات ،

وقد يسأل سائل : هل ترك الشعراء السابقين أو القدامى شيئا للمعاصرين والمحدثين من المعاني والأفكار لم يوظفوها في نصوصهم ؟ نقول : تشابه النصوص فيما بينها يوضح لنا مدى تماحك نصوص قديمة أثرت في نصوص أخرى حديثة ، فلا انتماء لأي نص من دون أن يحدد مساره وسياقه التاريخي والثقافي لأنه مجموعة من تركيب فسيفسائي ، وامتصاص لنصوص أخرى ولا ينظر إلى النص إلا من حيث تعاليه النصي ، فيكون في علاقة خفية أو جلية مع غيره من النصوصولأن النص بطبيعته بنية مفتوحة على غيره من نصوص سابقة على الشاعر إن بحث الخطى نحو المستقبل لصناعة نص جديد له حضوره ، وهذا الحضور يفتح أفق التوقع لدى المتلقي أو القارئ ،ويمكن القول : أنه تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة ،وبوعي فني تصدر عنه كل تجربة إبداعية تمثلت في تجارب سابقة تميزت في الاسلوب والتجارب الأدبية الحديثة جعلت من التناص مكونا اساسيا من مكونات الأداء في بعض الأجناس، ومن هنا ينظر الى النص كاملا والاخذ فيه عنصر يتيح قراءة أجمل للنص فلا توجد حدود بين النصوص المتآلفة فتحدث عملية هدم لنص غائب وبناءه في نص حاضر .وبالتالي كانت دور التناص الأساسي يكمن في خدمة الوظيفة التي يقوم بها ، ليخدم هدفا ومهمة سياقية تثري المعنى داخل النص وتمنحه عمقا وتشحنه بطاقات رمزية لا حدود لها .

و من خلال دراسة قصيدة الأطلال للشاعر إبراهيم ناجي يتبين للقارىء وجود تقنية التناص داخل النص بشكل واضح ، فقد استحضر مجموعة من التقنيات باستلهام التراث القديم ، حيث بدأ الشاعر قصيدته بالوقوف على الأطلال متبعا جانبا مهما من ظواهر الشعر القديم ألا وهو الوقوف على الأطلال ومحاكاة بعض الشعراء في استرجاع الماضي و ديار الأحبة . يقول الشاعر : -

يا فؤادي رحم الله الهوى

كان صرحا من خيال فهوى

اسقني واشرب على أطلاله

وارو عني طالما الدمع روى

كيف ذاك الحب أمسى خبرا

وحديثا من أحاديث الجوى

وبساطا من ندامى حلم

هم توارو ا أبدا وهو انطوى 1

هذه القصيدة كانت انعكاسا لقصة حب عاثرة لم يكتب لها النجاح، فغدت أطلالا وصدى للماضي الأليم الذي عاشه الشاعر ، والافتتاح الذي يطبع القصيدة القديمة ،يفكرنا قصيدة الشاعر أمرئ القيس :

قفا نبك منذكرى حبيب ومنزل // بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فلو حاولنا أن نقارن بين القصيدة القديمة وقصيدة إبراهيم ناجي الحديثة نلحظ صراعا قائما بين الزمان والمكان باستحضار صور الماضي من حوارات تدور بين الشاعر ومكان الأحبة وماذا فعلت الأيام بديارهم فهي خربة وموحشة ومقفرة ، فقد رحلوا عنها أهلها وخيم عليها السكون ، هذا الأمر في حد ذاته تناص ، فلا يمكن لشاعر مثل ناجي أن يكون مقلدا من دون استحضار تقنيات التناص باستخدام واع للآليات ليثرى القيمة الجمالية للنص ، التي تبرز من خلال التعبير عن الفقد والحنين باستخدام مقدمة طللية يمنحها بعدا معاصرا يعبر عن الحب الضائع ، والتعبير بالطلل هنا هو الطلل المعنوي وليس المادي هذا الطلل من خيال ، مكونا وحدة عضوية متماسكة دمجت فيها احاسيسه ومشاعره وأفكاره ، ليكون بعض التساؤلات من خلال الاستفهام الانكاري فهو لا يريد الاجابة عنها بقدر مايستحضر ماضيه الجميل مسليا به نفسه ، ولكن لا يلبث حتى يهيمن عليه الحاضر الأليم وينتهي باستسلامه في نهاية الامر ، وتتعدد تقنية التناص ونجدها بغزارة عند

الشاعر أمل دنقل حيث وظفه بصور مختلفة في نصوصه الشعرية ليعبر من خلاله عن الرؤية الفكرية والاجتماعية ، فمثلا في قصيدته "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة " فقد وظف الشاعر شخصية من الشخصيات التراثية ، واستدعاها عن طريق تقنية التناص ليعبر من خلالها عن معاناة المثقف العربي الذي يرى الحقائق رأي العين ويحذر منها الساسة ولكن لا سامع لصوته ، كما أن زرقاء اليمامة تعد رمز للحكمة والبصيرة النافذة فهي تمثل إنذارا عن شيء سيحصل ولم يجد من يصغي إليه حتى حلت الكارثة ، وكان لهذا التناص دلالة أسلوبية عميقة، فالشاعر يُعاني من أزمةٍ واقعية تتمثل في تهاون العرب وتخليهم عن أرضهم ، لذلك نراه يلجأ للعرّافة علها تخلصه من محنته. يقول :-

أيتها العرافة المقدسة

جئت إليك .. مثخناً بالطعنات والدماء

أزحف في معاطف القتلى ، وفوق الجثث المكدسة

منكسر السيف، مغبر الجبين والأعضاء .

في القصيدة يتجسد اليأس و الحزن العميق ، فالبكاء التي صوره الشاعر وظفه داخل نصه ليس فرديا بل يمثل ويعكس بكاء أمة بأسرها ، والصورة في النموذج السابق صورة سلبية قاتمة ، مثخنا بالطعنات ومنكسر السيف ومغبر الجبين ، وهذه الصفات تمثل حالة الانهزام والانكسار وحالة من الضعف ،وما يؤكد هذا الألم والشعور بالضعف كثرة التساؤلات الموظفة في النص ، ومع هذا فإن الشاعر استطاع توظيف تقنية التناص من خلال شخصية تراثية تعكس حال الأمة المتشظي .

يمثل التناص جزءا كبيرا في قصائد الشاعر اليمني عبدالله البردوني ، ففي قصيدة (أبو تمام وعروبة اليوم) ولو بحثنا عن تاريخ تأليف أو كتابة القصيدة وجدنا أنها قيلت في فترة ما بعد النكسة أو الهزيمة في عام 1971م ، وبالتالي نستطيع توقع معانيها ورؤية الشاعر لما آل إليه العرب ، ومقارنة هذا الحال ببطولاتهم في الزمن الغابر ، الحوارية القصدية ، والاستفهام الإنكاري يحمل عمقا دلاليا ليعبر عن الدهشة والاستغراب بتصويره لواقع الأمة العربية مع استدعاء لشخصية الشاعر العباسي أبي تمام التي تتري النص وتعطيه جمالية ، باعتبارها رمز للبطولة ، وقد وفق الشاعر في استخدام أدواته ذات المعنى الدلالي فأتى بحرف زجر وردع ونفي ليعبر عن الر فض وعدم الخنوع لهذا الواقع الأليم باستخدام صيغة التفضيل ليعبر عن شدة الإدلال والإهانة وفقدان الكرامة والكبرياء ، يقول :

ماذا جرى يا أبا تمام تسألني

عفوا سأروي ولا تسأل وما السبب

يدمي السؤال حياء حين نسأله

كيف احتفت بالعدا حيفا . . . أو النقب ؟

من ذا يلبي ؟ أما أسرار معتصم

كلا وأخزى من الأفشين ما صلبوا . .

اليوم عادت علوج الروم فاتحة

وموطن العرب المسلوب والسلب

و الشاعر محمود درويش يستدعي الشخصيات في سياقات ورموز تاريخية دينية وانسانية مشتركة عبر تقنية التناص في قصيدة " أنا يوسف يا أبي " اعتمد الشاعر في توظيفه لشخصية سيدنا يوسف على السرد القصصي المكثف ، حيث استخدم شخصية نبي الله يوسف عليه السلام رمزا للمظلوم والمنفي خارج وطنه وأهله ، أما شخصية نبي الله يعقوب فهي ترمز للوطن المفقود ، في حين تمثل شخصيات الأخوة الجانب السلبي وهي رمز القوى المتآمرة الظالمة ، وتمثل هذه المعاناة اسقاطا على معاناة الشعب الفلسطيني ، فيوسف عليه السلام ما هو إلا ذلك الفلسطيني المحروم من وطن والمطرود منه ، وقد عبر الشاعر بالوطن ووصفه ضمنيا بالأب وكرر المناداة لتزيد من تكثيف المعنى وتعميق الصورة ، والذي يهمنا من هذه الجزئية للنص أن الشاعر استطاع توظيف تقنية التناص في شخصية دينية ليسقطها على الواقع العربي عموما والفلسطيني ومعاناته خصوصا.

يقول : -

أنا يوسف يا أبي

أنا يوسف يا أبي

يا أبي ، إخوتي لا يحبونني .

لا يريدونني بينهم يا أبي .

يعتدون علي ويرمونني بالحصى والكلام .

يريدونني أن أموت لكي يمدحونني .

وهم أوصدوا باب بيتك دوني .

وهم طردوني من الحقل . هم سمموا عنبي ، يا أبي . 1

الشاعر العراقي عبدالوهاب البياتي أكثر الشعراء توظيفا للتقنيات الأسلوبية ليستخدمها خدمة للأغراض الفنية في قصائده فقد وضف شخصية (عائشة)من ديوانه أشعار في المنفعبر تقنية التناص لخلق معان جديدة ، وتوسيع دائرة المعنى داخل نصه الشعري ، فأحيانا يتناص مع النص القرآني والأحاديث النبوية وقصص الأنبياء والأساطير العربية ، وأحيانا يكون التناص عند البياتي مع النصوص القديمة امثل أشعار المتنبي أو المعري ، وقد يشار داخل النص بتوظيف أحداث تاريخية وشخصيات سياسية لإضفاء عمق تاريخي وثقافي ، ليعطي المعنى دفقة شعورية وأبعاد جديدة ، ليربط الحاضر الأدبي والاجتماعي بماض تاريخي وثقافي عريق ، فيعقد حوارا بين الماضي والحاضر فقد يشير النص المتناص عند البياتي إلى تذكار الماضي والحنين إليه ، وتارة أخرى إلى تجارب سابقة ، وهذإن دل فإنما يدل دلالة واضحة على براعة الشاعر في توظيف شخصياته وأحداثه من خلال تقنية التناص .

يقول :- عيناك ، يا عائشة ، زورقان من ياقوت

في خمر عينيك تذوب الأساطير

وألمت ، يا عائشة قنديل معلق

في هيكل الحب ، وفي محرابه النور

يا عائشة يا وردة دمشقية

يا شامة في خد بغداد ، ويا زورقا

تحملني في الليل ، في البحر ، إلى المنفى

إلى حين يموت القمر ، وتولد الأوراق1

يذكرنا النص بقصيدة بالشاعر ابن زيدون عندما يخاطب ويتغزل بمحبوبته " ولاده" فقد كررها كثيرا كما كرر البياتي عائشة ، كما نلحظ صورا ومعان موظفة داخل نص البياتي تتشابه ونص ابن زيدون منها الحنين والفقد ، والبعد عن الأحبة فكلاهما يحمل التجربة ذاتها وان اختلفت الازمنة والامكنة النصان مليئان بالنداءات الحزينة ، لعل هذ التناص الذي وظفه البياتي يحمل في طياته حوارا بين نصين مختلفين ومتباعدين في الزمان والمكان ، ولكن توحدهما الحالة الشعورية لدى الشاعرين ، فقصة حبيهما ليست عادية ، بل تتجاوز العلاقة العاطفية المباشرة والحب التقليدي ، وعائشة عند الشاعر ليست حبيبة فحسب بل هي شخصية تاريخية تحمل في طياتها رموزا متعددة ثنائية ضدية شعورا صادقا وعميقا بالانتماء والضياع في آن واحد .

و الشاعر أحمد مطر وظف التناص في قصائده ،بأسلوب ساخر ولاذع خدمة لأغراضه النقدية من الناحية السياسية والاجتماعية ،ويضيف دلالات جديدة على النص من خلال اسلوبه الساخر ، فيستدعي نماذج دينية أو تاريخية أو أدبية ، ليعزز من قوة مفرداته الشعرية ليسلط الضوء ، ويكثف المعنى عن القضايا المعاصرة للواقع العربي بأكمله ، فمثلا يقول في قصيدته " قلة أدب " -

قرأت في القرآن :

"تبت يدا أبي لهب وتب"

فأعلنت وسائل الإذعان :

" إن السكوت من ذهب .

أحببت فقري . . لم أزل أتلو:

" ما أغنى عنه ماكسب "

فصاح في الأغنياء :

" يا لك من كذب"

كرهت جهلي . . لم أزل افتي :

" قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون "

فقام أهل الذكر الأغبياء :

"يا لك من شغب "1

الدلالة الاستفزازية التي يحملها عنوان القصيدة تثير جدلا إذا مأخذ المعنى على ظاهره ، ولكن المقصود بالعنوان هو مواجهة قلة أدب الحكومات الظالمة ، يوظف الشاعر التناص باستحضار النص القرآني ، فيقتبس اقتباسا حرفيا من سورة المسد ، بقصدية وببراعة ليخلق صورة ساخرة كأنها تكشف زيف الإعلام المأجور الصامت عن الحق ، حتى أهل الذكر وصفوا بقلة الفهم والسطحية ، ويقصد أولئك الذين يدعون العلم ولا يفقهون منه شيئا ، فيعبر الشاعر من خلال توظيفه لتقنية التناص موقفه من الجهلة ، فهي صرخة مدوية ضد الجهل ونبذ الصمت ودعوة جريئة للصدح بالحق في زمان كثر فيه النفعيون والمنافقون ،

والنثر أيضا يستوعب التناص فكما يوظفه الشاعر يوظفه الناثر ، والباحث في الاجناس الأدبية يلحظ عدم وجود حدود بينها فهي في علاقات دائمة ، فالراوي مثلا يوظيف تقنية التناص في رواياته ليزيد من إثراء المعنى وتعميقه ، ويضفي عليها نوعا من البعد الفكري والثقافي والروحي ، ومع أن مفهوم التناص واحد في لا الجنسين الادبيين أما من حيث طبيعة كل منهما قد يتباينان في الكثافة والإيجاز ، فنجد الشاعر دائما يركز على إشارات دقيقة نوعا ما وموحية و متضمنة للتناص ، قد تكون هذه الإشارات تشير إلى نصوص تراثية سواء كانت هذه النصوص دينية أو تاريخية واحيانا تتضمن الاسطورية ، وبالتالي يكون المعني موجز ومتعدد في أقل تعبير لدى الشاعر ، ومن ثم تتحقق الوظيفة الجمالية لتوظيف التناص ، وأما توظيف النتاص في النثر فيكون أكثر وضوحا وتفسيرا ، كما أن النثر يتيح مساحة أكثر من خلال السياق والتفصيل ، فيقدم سياقا أكبر للإشارات النصية لفهم ولربط العلاقة بين النص السابق باللاحق لدى المتلقي ، ولسنا بصدد المقارنة بين الشعر والنثر ، ولكن لمن أراد المقارنة بينهما يجدها في مضانها ،وخلاصة الأمر أن الشاعر تناصه يكون ضمنيا ومكثفا ، وفي النثر أكثر وضوحا ومباشرة .

نضع أمامكم جزء لنص من رواية خريف الدرويش للكاتب إبراهيم الكوني نلحظ فيه التناص واضحا متجليا يقول : -.

(كانت الريح تعوي كذئب جريح تجتاح الخيام الهشة ، وتقتلع أوتارها من الرمل المتصلب لم يكن في الأفق الا عماء أصفر يلتهم كل شيء ، حتى بصيص الأمل الخافت الذي يتشبث به الدرويش) النص يحمل في طياته صورة تعبر عن الألم والحزن والفقد والشعور بالخطر ، من خلال قسوة الطبيعة فالريح رمزا للهلاك إذا كانت مفردة ، والتناص هنا يعد ضمنيا نجد صوت الريح التي وصفها بأنا تحدث صوتا يشبه العواء ، ويرتبط هذا الصوت عادة بالحزن والألم ، وقد استخدم الكاتب الصور الحسية ، التي استمدها من من البيئة المحيطة به ، وهذه الصور وغيرها استدعاها الكاتب لتتناص مع عالمه الصحراوي من خلال تعبيراته المتفردة .

والسؤال الذي يطرح نفسه أثناء دراسة تقنية التناص داخل النصوص الأدبية ، هل يوجد أهمية للتناص ، بمعنى آخر النص غير المتناص هل هو أقل جودة من المتناص ؟ وللإجابة على هذا السؤال تكمن في مدى فاعلية العلاقة بين النصوص سواء كانت هذه النصوص قديمة أو حديثة ، ويكون إثراء المعني في تلك

العلاقة أقوى وأعمق ، والتاثير والتأثر بين النصوص ظاهرة قديمة ، كما أن النص المتناص يكتسب دلالات متجددة مع تداخله مع نصوص أخرى وبالتالي تتعدد المعاني ، ينعكس إيجابا على المتلقي والنص نفسه . فمن وجهة نظر الباحث لا يمكن أن يستقل النص بذاته ولا يعتمد على نصوص أخرى تكون داعمة له لإثراء المعنى وتعميقه ، باعتبار أن جميع النصوص تتأثر بشكل أو بآخر بنصوص أخرى قليلا كان أو كثيرا حسب ثقافة كاتب النص ، وبفضل العلاقة بين النصوص تتعدد المعاني والدلالات ، فتتداخل فيما بينها لتخلق حوارا خفيا بين النصوص .

خلاصة ما تقدم وتأسيسا لما ذكر آنفا ، فإن توظيف الشاعر الحديث تقنية التناص في شعره باعتباره أداة من الأدوات الفنية له أهداف متعددة ، منها على سبيل المثال لا الحصر : -

- الشاعر يهدف من خلال توظيفه للتناص إثراء للمعنى وتعميقه داخل النص الأدبي ، فيستدعي نصوصا قد تكون قديمة أو حديثة ، وهذه النصوص قد تكون شعرا أو نثرا ، يضفي عليها دفقات شعورية ودلالات جديدة ، بحيث يتداخل نص الشاعر من النص المتناص معه، فيفسح مجالات أرحب في فهم المعنى المراد
- يمنح الشاعر باستخدامه تقنية التناص ، للمتلقي رؤى وأفكارا جديدة ، وتعزيز فكرة دون أخرى تجاه قضية من القضايا الاجتماعية او السياسية .
- الجانب المهم والاهم في استحضار الشاعر لنصوص أخرى هو إحياء التراث ووضع جسر عبور بينه وبين النصوص الحديثة لتربط الماضي بالحاضر ووضعه في قالب حديث .
- يعد استخدام التناص في النصوص الأدبية منشطا للقارئ المثقف ، فيخلق نوعا من الحوار التفاعل الذهني لدى القارئ .
- يستعين الشاعر بالتناص ليضفي جمالية فنية لنصه الشعري ، باعتباره محسنا من المحسنات الفنية للقصيدة ، كما يخلق تنوعا في الأساليب لدى الشعراء ، ويثير دهشة للمتلقي ، فتجعله يتأمل النص ويفسره وبالتالي يتفاعل معه ، فيكون النص جسرا لربط العلاقات بين الشاعر والمتلقي .
- قد يستدعي الشاعر شخصيات أو رموزا وايحاءات متعددة أو نصوصا لها دلالات قد تتوافق او تتناقض ورؤيته
- تقنية التناص لا يوظفها الشاعر عبثا ، بل بقصدية فهي تكون سببا في تلخيص المعاني والأفكار المراد طرحها للقارئ في عبارات ومعان أقل ايجازا وأكثر عمقا وإغناء من التعبير المباشر الذي يكون فيه المعنى باهتا ، وفي نهاية المطاف وسع الدلالات وتتنوع المعاني بحلة جديدة يصنعها الشاعر للوصول إلى هدفه .
- يعكس التناص مدى قدرة الشاعر على التعبير ، وإظهار ثقافته وعمقه الفكري والفني .
- التناص هو علاقة حميمة بين النصوص تتفاعل فيما بينها ، لتخلق أثرا لدى القارئ ليحرك طاقاتها المخبوءة .

المصـــــادر والمراجـــع

1. أ. سعاد مصباح ميلاد عكير. (2025). الصورة البلاغية في شعر عيسي أيوب الباروني. مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية، 10(1)، 213-221.
2. التناص في الشعر العربي الحديث ، البرغوتي نموذجا ، ط1، 2009م، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، الأردن ص2
3. حسن بحراوي. بنية الشكل الروائي: الفضاء – الزمن – الشخصية، ط1، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1990م، ص32.
4. د. رياض محمد عبدالمؤمن. (2025). الزهد والمجون والقديم والمحدث في شعر أبي نواس. مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية، 10(1)، 441-452
5. د. محمد ضو علي. (2025). سمات القصيدة الحداثية؛ صلاح عبد الصبور نموذجًا. مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية، 10(1)، 86-101.
6. ديوان ابراهيم ناجي ، دار العودة ، بيروت ،ص285
7. شربل داغر ، التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب م16، ع1 ، القاهرة 1997م، ص130
8. شعرية التناص في شعر الجواهري ، الطيب أبوترعة ، اطروحة دكتوراه ، جامعة وهران ، قسم اللغة العربية وآدابها ص5.
9. عبدالله الغدامي ، ثقافة الأسئلة في مقالات النقد والنظرية ، ط2 ،دار سعاد الصباح ، الكويت 1993م ، ص111.
10. محمد بنيس ، الشعر العربي الحديث ، بنياته وإبدالاته - ج 3الشعر المعاصر ، دار توبقال – المغرب – ط1 1990ص186.
11. مرايا المعنى الشعري اشكال الأداء في الشعرية العربية من قصيدة العمود إلى القصيدة التفاعلية ط1عمان دار صفاء012مص558